الإنسان فى إطار دورة الحياة الاجتماعية

دراسة إثنوجرافية لمجتمع جزيرة تاروت بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية

د. سليمان بن عبد الله العقيل
استاذ مساعد، قسم الدراسات الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود
الرياض - السعودية

المقدمة:

يضم المجتمع السعودى ثقافة واحدة، تحتوى ثقافات فرعية عديدة، تختلف فى أصولها ومنظومات قيمها، وذلك بحكم قربها أو بعدها عن المراكز الحضارية عبر التاريخ، وكذلك البيئة الجغرافية التى تعيش فيها. وارتباطاً بذلك يعتبر المجتمع السعودى من المجتمعات البكر، والتى تحتاج إلى الكثير من الدراسات الإنثروبولوجية والإنثوجرافية، لتكوين قاعدة معرفية ومعلوماتية حوله.

فثقافة المجتمع تحتوى على الكثير من القضايا التى تحتاج إلى البحث والتأصيل، لاسيما أن المجتمع يمر بمرحلة من التغير الاجتماعى والثقافى الذى يجعل فى طياته نوع من الاستبدال والاستعارة من الثقافات مجتمعات أخرى، مما يجعل ثقافة المجتمع الأصلية مهددة بالانقراض.

وهذا البحث نوع من الدراسة الإثنوجرافية عن مجتمع جزيرة «تاروت» التى تقع فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، بقرب ساحل القطيف[١] . ولهذه الجزيرة تاريخ قديم، حيث تعاقبت عليها الكثير من الثقافات، وتسكنها مجموعة متجانسة من السكان الذين يعتقدون المذهب الجعفرى.

وتعتبر هذه المنطقة من المناطق التى كانت ذا شأن فى فترة تاريخية سابقة، قبل وبعد توحيد الجزيرة العربية. فهى من جانب كانت تشكل مركزاً هاماً، وموقعاً إستراتيجياً. وهى من الجانب الآخر ذات طابع اجتماعى مميز من حيث العادات والتقاليد والقيم[٢] .

ومن ثم يتمثل الهدف الرئيسى للدراسة فى تبيان وحفظ تراث تلك الجزيرة فى أحد جوانب حياتها الاجتماعية، والقيم الثقافية التى تنظم التفاعل فى إطاره. ولتعليل واستقصاء طبيعة بعض الأفعال المجتمعية وردها لأصلها أو مصدرها ولتكون أساساً لدراسات أنثروبولوجية أخرى.

ولأن هذا المجتمع المحلى لم ينفتح كثيراً على بقية المجتمعات المحلية الآخرى من حوله، ولايزال يحتفظ بطابعه المميز[٣] ، فإن ذلك شكل أحد الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة.

وسوف تهتم هذه الدراسة بنظام الزواج والطلاق والموت والأعياد فى هذا المجتمع المحلى من حيث العمليات والتفاعلات، .كذلك السلوكيات التى تقع فى إطار هذا التفاعل، هذا إلى جانب توضيح طبيعة ودلالة المنظومة القيمية التى توضح التفاعل فى هذا المجال.

أولاً : منهج الدراسة

اختير المنهج الإثنوجرافى كمنهج للدراسة، لأن الأعمال الإثنوجرافية، هى القاعدة والأساس فى معظم الدراسات الإنثروبولوجية، وكذلك الاجتماعية بشكل عام. وذلك أنها تعطى وصفاً شاملاً ودقيقاً عن مجتمع الدراسة، وبخاصة تلك الجوانب التى يصعب قياسها بالطرق السسيولوجية[٤] .

وتتكون هذه الدراسة من مجموعة من المونوجرافات(Monographs)،

التى تحاول أن تقدم دراسة شاملة عن ثقافة جزيرة تاروت، وطبيعة الثقافات التى تاثرت بها، وهو التأثير الذى اتخذ أحياناً شكل الاستعارة الثقافية عبر وسائل الاتصال المتاحة آنذاك. بالإضافة إلى ذلك تشتمل هذه الدراسة على تحليل لحركة المجتمع وتفاعلاته فى بعض الجوانب الاجتماعية. وكذلك دور الإنسان فى إطار هذه التفاعلات. إلى جانب التعرف على وظيفة النظام الاجتماعى وتحقيق الإشباعات البيلوجية والنفسية والاجتماعية وفقاً للتوجهات الثقافية السائدة.

وفى هذا الإطار تعرض لأنظمة الزواج والطلاق ومكوناتهما من الخطبة، المهر، طريقة الخطبة، كمية المهر ونوعه، العرس وتفاعلاته، الدخلة، الفرح، المأكولات، طريقة استقبال الزوج وأهله. العروس وكيفية معرفة موافقتها، كيفية إعدادها، الحنا، الزينة، الوليمة، الرقصات الشعبية، والغناء، وذلك باعتبار أن هذا النظام على مايتضح لنا يلعب دوراً محورياً فى تحقيق التكامل الاجتماعى لجزيرة تاروت لاعتبارها مجتمعاً محلياً.

بالإضافة إلى ذلك تشتمل الدراسة أيضاً على تحليل لبعض المناسبات الدينية والاجتماعية وكيفية تعامل الناس مع بعضهم البعض فيها، مثل شهر رمضان، عيد الفطر الأضحى، الموت وثقافته، الختان للبنين والبنات، وما يدور فى تلك المناسبات الاجتماعية والدينية من أشكال التفاعل الاجتماعى وعلاقاته. وهى العناصر والتفاعلات التى تشكل جانباً كبيراً لدورة الحياة فى هذا المجتمع المحلى.

وفى هذا الإطار يعتبر المنهج الإثنوجرافى أنسب مناهج البحث المستخدمة فى هذا المجال، ولقد تطورت الدراسات الإثنوجرافية على أيدى رواد الانثربولوجيا أمثال راد كليف براون (Radcliffe - Brown)

ومالينوفسكى (Malinowski) فى الاتجاه الذى أصبح حقلياً. ويمتحن من خلاله صحة بعض النظريات[٥] وبذلك وتعنى الإثنوجرافيا فى أبسط صورها وصف الشعوب[١] أى ملاحقة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان[٧] . وهى دراسة وصفية لطرق الحياة فى مجتمع معين دون أن تكون تفسيرية[٨]

وقد اتبع الباحث فى جمعه للبيانات المتعلقة بالمجتمع المحلى (جزيرة تاروت) عدة طرق تتبع عادة فى المنهج الإثنوجرافى، وهى التى نعرض لإبرازها فيما يلى :

١ - *المقابلة:*

حيث تعتبر المقابلة من الطرق الإنثروبولوجية التى يمكن أن يحصل من خلالها الباحث على المعلومات الإثنوجرافية من الميدان[٩] . ذلك أنها أنسب الطرق التى يمكن للباحث أن يحصل على أكبر قدر من المعلومات التى يريد، والتى لاتكون إلا فى عقول أبناء ذلك المجتمع المبحوث. وهى تتمثل فى مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع ممن يفيدون فى جمع المعلومات الهامة عن البناء الاجتماعى والثقافى لمجتمع الدراسة . ويطلق على هؤلاء الأخباريون (Informants) . حيث توجه لهم الأسئلة حول ثقافة المجتمع، ويترك لهم فرصة الإجابة المرسلة دون توجيهها وجهة معينة[١٠]

٢ - *تاريخ الحياة :*

كذلك قام الباحث بجمع البيانات من خلال طريقة تاريخ حياة (Life History) المجتمع المحلى، وهى من الطرق المهمة أيضاً فى جمع المعلومات من مجتمع معين. وأيضاً جزء من الدراسة الميدانية التى استخدمت فى هذه الدراسة. وهذه الطريقة تعنى أن يطلب الباحث من بعض أفراد المجتمع أن يقص عليه، كل منهم سيرة حياته وماصادفها من أحداث ومشاكل منذ الصغر،

وارتباط ذلك ببعض الأحداث التى وقعت على مستوى المجتمع المحلى. ومن خلال تلك السير، يتضح للباحث بعض المشكلات والعلاقات الاجتماعية وأوجة النشاط الثقافى والاجتماعى عن ذلك المجتمع(١١)

ولجمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة واجه الباحث مجموعة من الصعوبات التى نعرض لبعضها فيما يلى:

أ - لم يكن لهذه الدراسة أن ترى النور إلا بعد عناء شديد وزمن مديد. فقد استمر جمع المادة العلمية أكثر من ثلث سنوات. تعاقب الجامعون (Interviews) عليها ظراً لصعوبة إجراء مثل هذا البحث فكرةً وتطبيقاً(١٢) .

ب - من حيث الفكرة، يجد بعض الأخباريين (Infromants) أن من المهانة، وهم كبار فى السن، الحديث عن أمور مضت، أو أنها لاتزال قائمة، وتعتبر من المسلمات.

لذا فإن الباحث ينفق الكثير من الوقت فى محاولة لدفع الأخبارى إلى الحديث الحر المتداعى، وبذلك فهو يحاول تهيئة السبل حتى يمكن أن يجمع أكبر قدر من المعلومات(١٣) .

جـ - لم يكن للبحث أن يقوم، لولامساعدة بعض الأفراد من نفس المجتمع، والذين تربطهم بالباحث علاقة صداقة(١٤) . غير أن هؤلاء ليسوا كبارا فى السن، لذا فإن المبحوثين لايريدونهم أن يطلعوا على بعض صور حياتهم الماضية، والتى قد تشتمل على بعض السلبيات . لأنهم يدعون فى الغالب أن حياتهم كانت مثالية فى العلاقات والقيم وخلاف ذلك(١٥) .

د - يظن بعض المبحوثين أن القصد من وراء جمع هذا النوع من المعلومات هو محاولة إيجاد مقارنة بين الجيلين لإثبات عدم صلاحيته وجدوى تراثهم وقيمهم. وهذا بالطبع يدخل فى الجانب المتعلق بالبناء النفسى للمبحوثين.

هـ - إن بعض الباحثين (الجامعون) قليلى خبرة فى هذا المجال. لذلك فإنهم يفتقدون إلى الحصافة والكياسة، فى التعامل مع هذه الفئة من المجتمع.

و - ومن أكبر الصعوبات التى واجهت الباحث، ذلك الاختلاف بين الباحث ومجتمع الدراسة من الناحية الاعتقادية والأيديولوجية والاجتماعية. وذلك الاختلاف يولد حساسية شديدة لدى المبحوثين(١٦)

ز - ونظراً لما سبق ذكره، من الاختلاف والحساسية بين الباحث والمبحوثين. تطلب ذلك الاستعانة بمجموعة من الجامعين من أبناء ذلك المجتمع ومشاركتهم وتوجيههم فى ذلك(١٧) . وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً فى التدريب للباحثين وكيفية استخلاص المعلومات من المبحوثين.

حـ - يضاف إلى ماسبق من الصعوبات المادية والبعد المكانى. أن الباحث يسكن فى المنطقة الوسطى من البلاد، بينما مجتمع الدراسة فى المنطقة الشرقية، لذا فإن ذلك يستلزم السفر بين فترة وأخرى.

ثانياً : طبيعة مجتمع البحث وخصائصه

تعتبر ثقافة جزيرة تاروت من الثقافات التى مضى عليها خمسون ونيف من السنين، وذلك حسب المقابلة التى أجريت وكانت مع مجموعة من الرجال والنساء المسنين الذين تتراوح أعمارهم بين الخمسين والستين سنة، وكان

البحث فى الثقافة السائدة وقتئذ، حيث تغيرت بعض العادات وأنماط السلوك التى كانت سائدة. ولقد كانت أحد الوسائل التى تتجدد عن طريقها تلك العادة أو ذلك النمط هى وجود الراديو أو المذياع، الذى يستمع إليه الجالسون فى «المقاهى»، وهى عبارة عن محل مملوك لأحد من الناس بها مقاعد من السعف والجريد وطاولات من السعف أيضاً، ويوجد بها كذلك بعض الألعاب المسلية مثل الزاتة والكيرم والدومنة، وبعض الخدمات، مثل تقديم الشاى والقهوة والسجائر والنارجيل او المعسل، والقدو ، وتسمى عموماً «القهوة» ، فيطلق عليها اسم (قهوة فلان) . ويقدم المذياع الذى بها بعض البرامج التى تعكس التقدم والحضارة التى تبثها أماكن بعيدة مثل الكويت والبحرين. حيث يتعرف الناس على مثل هذه العادات القديمة والجديدة من هذا المذياع، لتلك المجتمعات البعيدة حسب ماقال بعض المسنين. وقد أضافت بعض النساء المسنات قولهن «عندما يسافر الآباء والأجداد فى سفر الصيد عن طريق البحر وسفر الزيارة عن طريق البر يجلبوا معهم بعض من عادات البلاد الأخرى حيث تجدد عاداتنا فى الزواج. لأنه يجب على الأسرة أن تأتى بالأشياء الجديدة التى لا نستطيع أن نصنعها فلابد من جلب طريقة جديدة للبسها أو أكلها أو استخدامها»، كما يضيف أحدهم بأن «العادة تتجدد عن طريق التفكير ويقول عندما تزف العروس يكثر الكلام بالنقص – وهذا فى بعض الأحيان – ثم تقوم الأسرة الثانية بزيادة فى استقدام الدف أو الزيادة فى إضافة قماش جديد فى لباس العروس»، وضرب مثلاً لذلك فقال : «عندما كنت شاباً تزوجت وعمرى ثمانية عشرة عاماً حيث قام المخضب بغمس كفى ورجلى باكملها فى قدر الحناء، وعندما كان زواج أخى الأصغر منى مباشرة لم يفعل به مثل فعلى، بل عمل له عملاً آخر وطريقة حديثة وهى ان حناه إلى الكف فقط، إضافة إلى أن حناه أفتح فى لونه من كفى. وبالنسبة إلى رجليه، فعمد المحنى الى منتصف الساق فقط بينما

وضع كامل رجلى مع ساقى فى الحناء». فهو يعتبر أن هذه الطريقة مبتكرة وجديدة بدليل التفكير الذى أثاره الاحتجاج وكثرة الكلام.

ثالثاً : ترتيبات الختان وطقوسه

الختان هو التطهير أو التنظيف. وكانت الكلمة الشائعة قبل هذا هى «التطهير»، فيقال : لقد طهر ولدى، أما بالنسبة إلى الكلمة العامية أو الدارجة التى كان متعارف عليها هى الختان فيقال «لقد ختن ولدى» كما يقال أيضا أن كلمة التطهير تقال للفتيات، وكلمة الختان تقال للأولاد والتطهير مرحلة منتظرة للفتاة لأنه سوف يأتى يوم وتطهر فيه. ان هناك من تطهرت فى هذه السن بسماع أمها أو أختها . والبعض ينتظر ذلك اليوم الصعب الذى سوف يتطهرن فيه كما طهرت فلانة. ومن المحتمل أن يكون هناك سلبيات أو بعض الإحفاء التى تؤذى، جاءت عن طريق السماع والإنتظار. وكما أجمع المبحوثين من الأطفال والفتيات على أن الختان جزء من الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والأعراف. حتى ولو أخبرهم أحد ما بأن فعلهم شبيها بالقسوة والشده، ولكنهم متمسكون بالطهارة وشرعيتها، فيقولون : «نحن الرجال نخاف على أولادنا وبناتنا، وخوفنا هو لعطفنا عليهم وحبنا لهم، ولكن لابد من الختان، لأنها لحظة ويكون الأبناء قد طهروا حيث نجد أن بعض الآباء قادر على أن يمسك ابنه بنفسه أمام المشرط أو المقص الحاد، حتى تنتهى العملية.

١ - وقت الختان

عندما ترى الأم أن ابنها قد أكمل الأربعين يوماً، وبعضهم فى الخامس والثلاثين وبعضهن تحسب لإبنها خمسوين يوماً، والأخريات يقلن على حسب جسم الطفل وتحمله، والأكثر هو أن يكمل الطفل الرضيع أربعين يوما بعدها

يعد للتطهير. حيث يذهب الأب إلى الرجل المتخصص فى هذه العملية ويكون قد اكتسبها كوظيفة أو ورثها من آبائه. وفى بعض الأحيان يكون هذا المتخصص صاحب الكتاب، (المعلم) أى معلم القرآن الكريم. حيث يتقاضى على عمله هذا أجرا وبعضهم يأخذ طعاماً، أو لباسا وعلى حسب «العطية» أما المال فيؤخذ مايعادل ثلاثة ريالات، أما الطعام فيؤخذ ما يعادل الكفين من اللحم أو الشعير أو التمر، أو عشرة أكواب من حليب البقر أو الغنم . وبعضهم يأخذ خشبا «الحطب» أو «العكر وهو جذور البرسيم، والكرف وهو أللحاء الذى بداخله الطلع، حيث كان يصنع منه العصير فى ذلك الوقت. وأما الطفل فيبدأ بالبكاء والآلام التى لايعيها، فيمسكه والده على هون وبعطف وقلبه ممتلئ جزعا ورحمة وشفقة، بينما قد يخرج بعض الآباء إلى فناء البيت أو خارجه حيث يبتعد عن البيت بمسافة لايسمع خلالها بكاء ابنه، وبعضهم يقول : لقد أشترطت على زوجتى أن لاتطهر الطفل إلا وقت عملى فى البستان، والآخر يقول : أثناء نومى، أما النساءفلايستطعن الحضور والإنتظار لأنهن لايحتملن الإنتظار خارج البيت، أو بعيدات عن أطفالهن أثناء التطهير، وإنما أحيانا تبكى والأخرى تتباكى، وغيرها تتحمل.

وقد أجمع الأخباريون جميعهم على أن التطهير بالنسبة للأناث يكون فى سن الثامنة، وقد تكون فى السابعة والحد الأعلى التاسعة. وكانت الأسباب فى التقديم أو التأخير هو – الخوف من شيوع الخبر بأن المختنة اعتادت المجئ إلى الفتيات فى الثامنة، فتنتظر الفتاة إكمال هذه السنة. فمواجهة لذلك ولتفادى التعقد أو الخوف، بالإضافة إلى جسم الفتاة إذا كان قويا وقد تكون بنيتها أكبر، فلاتستطيع مسكها، بهذا تقدم سنة واحدة على غيرها. أما التاسعة فلنفس الأسباب، ولكن قد يكون جسد الفتاة ضعيفا فلابد من تأخيرها سنة أخرى ليزداد تحملها، ولتفادى أى خطر كأن تمرض الفتاة أو تموت لضعفها.

كما أنه لم يحدث أن ماتت أو مات أحد من الأطفال فى هذه العملية فى ذلك الزمن، فى تلك الجزيرة «تاروت».

٢ - أدوات الختان

تضم حقيبة المختن السوداء وعلى الجلده القديمة المربوطة بحبل من ليف النخل، وعصير نبات الريحان الذى يكثر فى جزيرة تاروت وعلى حواف الترع المائية ودقيق أو بودرة الليف أو البن الذى يشترى من الهند أو الكويت أو البحرين . ومن قماش أبيض ونظيف مجهز ومقطع بطول ليقوم بربطه به، والمقص الذى يشبه مقص الحلاقة، وبعضهم موس حاد ودقيق للغايه، وبعضهم يعتمد على خبرته فيمسك اللحمة الزائدة ويقطعها بسرعة فائقة.

٣ - إجراءات الختان

يؤتى بالطفل الرضيع ساكتا كان أم باكيا، يمسكه والده أو عمه أو جاره. وإذا لم يتوفر القريب، كان مساعد المختن يحل محلهم. فيجلس الأب على حجر كبير فى البيت أو حطب من الشجر الكبير كأنه المقعد، ويؤتى بالتراب من أسفل المقعد وأسفل الطفل ثم يضع الأب ابنه فى حجره ماسكاً يديه، ويأتى مساعد المختن ويفتح فخذى الطفل بهدوء ورحمة، ثم يمسك المختن ذكر الطفل ويدخل الميل الدقيق قليلاً قليلاً لكى لايتألم الطفل، ثم يمسك اللحمة ويقطعها، فكانت وظيفة الميل أن يدخله ثم يدفعه إلى الأعلى لكى يتحدب الذكر، ثم تظهر اللحمة واضحة ومرتفعة ويقطعها بسرعة، فالميل يدخل منه الجزء الدقيق جدا الذى يشبه الإبره، فالجزء ، الأمامى من الميل لايؤلم الطفل فى رأى المسنين. وبعدها يصرخ الطفل كما ينزل الدم أمام والد الطفل ويسقط على يديه وعلى الرمل. ويسارع المختن بالخرقة أو القماش، ثم يضع عصير الريحان، ثم يضع بودرة الليف أو القهوة، ويربط الذكر ربطة خفيفة، وتنتهى العملية. ويؤتى

ببيضة وتكسر بجانب الطفل، لإعتقاد أن الجن يستغلون حالة آلام الطفل الشديدة فيدخلونه، فتعتبر كسرة البيض طرداً لهم، وإبعاد الرعب والهلع الذى أصاب الطفل بسبب الألم:

٤ - *الكمين وتطهير (ختان) الفتاة*

تقول المبحوثات، إذا قررنا أن نطهر بناتنا تجتمع النساء، فكل واحدة منا لها ابنتين أو ثلاث. فتقوم الجارات والأخوات بتجميع البنات ونعمل لهن كمين فى بيت واحدة منا . حيث نستدعى المطهرة فى ذلك البيت، مع المحافظة على سرية هذا العمل من أن يشاع بين الصبيان أو الشباب أو الآباء. وإذا كان البيت الذى فيه الكمين «بيت الخالة» نقول لهن : أن فى بيت خالتكن ولد أو موسم تجفيف السمك أو الربيان، فعليكن الذهاب إلى الخالة لتساعدنها. فيذهبن الفتيات عنه، ومجرد أن يغلق تبدأ الأمهات فى وضع الكمائن الواحدة تلو الأخرى، فتذهب الأم لإبنتها تدخلها العشة التى فيها المطهرة، ومجرد أن تدخل يمسكونها الموجودات فى الداخل وعددهن ثلاث أو إربع وتتم العملية بعد أن ينزع السروال أو اللباس الداخلى، ويمسك الساقين وتقص اللحمة بمقص حاد جداً.

٥ - *إجراءات عملية التطهير للفتيات*

تجعل الفتاة على هيئة التى تضع حملها، ويبعد فخذيها عن بعضهما، ولكل ساق امرأة، تسند لها، بمعنى أن كل امرأة تمسك رجل ويد. ثم تقترب المطهرة إليها وتمسك اللحمة باليد اليسرى واليمنى تمسك المقص وتقطع اللحمة وهى تنظر إلى موقع التطهير، ثم تضع الماء والقماش لتزيل الدم ثم تضع على الجرح عصير الريحان ثم بودرة الليف أو القهوة، وتربط من خلف الظهر والأليتين بالقماش لتمسك الدواء تماما من السقوط ، وتلبس الفتاة

لباسها، وتخرج بعد التطهير بفترة، ثم تجلس ولاتتحرك وتكون أمها معها تضغط بخفه على الرباط لتخفف الألم. ثم تخرج المطهرة إلى العشة الثانية لتقوم بنفس العملية، وذكر بعضهن أن الفتاة تذهب إلى الحمام «الخلاء» أولاً قبل التطهير. وهناك من يطلب منها أن تنام بعد العملية، أما بالنسبة لبكاء الفتاة فهو شديد حيث تخاف الأخريات عند سماعهن له، ولكن لايعلمن لماذا، ثم تأخذهن واحدة واحدة إلى أن تطهرن الجميع.

٦ - *ادوات المطهرة*

لاتملك حقيبة، ولكنها تحمل مايسمى «قفة» أو زبيل أى وعاء مصنوع من خوص النخل وعليه غطاء من السعف أيضا. يوضع داخله قماش أسود ومربع الشكل فى أسفل الزبيل، حيث يجمع عليه المقص أو المقصين أو الثلاثة. ويوضع عصير الريحان والبودرة والأقمشة وتربطها جميعا فى هذه القماشة المربعة، وذكر بعضهن أن المطهرة تقوم بغلى الماء على الحطب ووضع الملح مع الماء. وأما كروة المطهرة أو أجرتها فكانت أكثر ما تأخذه من التمر واللبن، ورذا وجد السمك المجفف أو الربيان، أو تأخذ ما تقدمه لها صاحبة البيت، وتقنع بما يعطى لها، ذلك لمعرفتها بالأحوال المعاشية ولاعتبارها مطلوبة دائماً.

رابعاً: إجراءات الاختيار الزواجى

وأجمع المبحوثون على أن الوضع الاقتصادى والاجتماعى للأسرة، هو الذى يحدد الاختيار وطريقة الزواج. فالأسر المعروفة والمشهورة الغنية يتزوج أفرادها بسرعة فائقة، وعلى عكس ذلك نجد الأسر المتوسطة أو الفقيرة. وأحياناً يتزوج أفراد الأسرة الفقيرة قبل الميسورة ذلك لمعرفة الإنسان لقدره، ومعرفة مستواه، فيطلب الزوجة التى تناسبه وعلى حسب مستواه الاقتصادى

والاجتماعى أيضاً. وأحياناً يتزوج الفقير جداً صاحب البيت العتيق القديم فتاة غنية مقتنعة به. حيث يقوم الرجل الغنى الذى يملك الأملاك ويختار لابنته أحد صبيانه «عماله» من من يراه أميناً على ماله، وصاحب أخلاق، ومؤمن، أى حسب تقدير والد الفتاة لكفاءة الرجل، حيث إن الفتاة لا رأى لها بتاتا.

١ - طريقة اختيار كل من الفتاة والشاب لشريكه.

تجيب الفتيات بقولهن : «نحن نحب أباءنا حبا شديداً حيث لم يكن فى تفكيرنا أن نعصى ولو بدرجة، فكل مايراه الأب صالحا لنا، والسبب هو أن تربية الأب والأم لنا تزرع فى نفوسنا الطاعة التى أمر الله بها، فلايتخلل تلك التربية العصيان أبداً»، فنوافق على رأى الأب بدون نقاش ونقول : «لانبشع آباءنا وأمهاتنا أبداً».

الفتاة لاتعرف عن زوجها من مواصفاته شيئاً إلا أن إخوتها - إذا كان لها إخوة - يخبرونها بما فيه من مواصفات أو علامات، ويوجد بعض الأسر التى لاتخبر أبناءها شيئاً بتاتا عن الزوج ولاتعرف الزوجة زوجها إلا ليلة الزفاف «الدخلة»، ويكثر الرد بالإيجاب أثناء الزواج للقريب من العائلة أو أبناء القرية «أبناء الفريق»، مع ملاحظة أن الزوجة لاتعرف شيئاً عن موافقة والديها.

لاتعلم الزوجة الشابة، كبيرة كانت أو صغيرة، تفهم كانت أو لاتفهم، فمجرد أن يوافق الوالدين على المتقدم، تكون قد تمت الموافقة على الخطبة والزواج ويتم الاتفاق على تحديد «الملكة» أو العقد والمهر والشروط مباشرة بعد أسبوع عند بعض العوائل، وفى نفس الوقت عند بعض الأسر الأخرى المتأخرة. عندها تعرف الفتاة بأن شابا قد تقدم إليها طالباً يدها من أمها أو أبيها وهذا لإعلامها وليس لاستشارتها، ولاتعلم هل هو أقرع، أو محترق، إلا ليلة العرس. وكذلك الشاب لايمكن أن يرفض أوامر والده فإذا رأى الأب أن

يـزوج ولـده، ولـو كـان صغيـراً فليس له أن يحتج، على ذلك بل يقول : «أنا كنت أنتظر هذه الليلة، فإنا محمول ولا أرفس» أى أعيش مـع أبـى فـى أسـرة كبيرة وكل التكاليف عليه وليس علـى سـوى أن أفرحـه، فلاتوجـد فى مخيلتـى أن أقول لا، لا أريد الزواج . فيقـول «أنا أمباها من الله فكيف تفوتنـى هـذه الفرصة، أبداً على طول أعقلها وأتزوج»، ويقول : «كلابـد عنـدى مـاى مـاأعصـى وهذا منـاى»، وكان يقدم رأى الأب والأم إلى درجة أن الشاب لايسأل عن جمال العروس أو قبحها، ولايسأل عن لونها بيضاء أو سوداء، ولايسأل عن جسمها طويلة، أو قصيرة، ضعيفة أو متينة، وهل هـى عوراء أو حولاء، وإنما يقال له : «هـى جميله ولكن طايره منها عيون أو كريمة بصيره»، وإذا كانت عوراء يقال له : مطيفة إهلال، اما إذا كانت عمياء فيعرف هذه الصفة من الناس أى أن فلانه ولدت وهـى عمياء، فيتقدم لها وهو عالم بها ولايتقدم لها إلا الفقير جداً.

ومن عمر الشباب والشابات أثناء الزواج أجابوا على اختلاف الزمن والجيل، فبعضهم أجاب أن سن الشاب يتراوح بين السادسة عشر والخمسة والعشرون سنة، والفتاة عمرها يتراوح بين الرابعة عشر والعشرون سنة.

٢ - *طريقة الخطبة*

إذا كان الأب والأم أحياء، تأتى الأم مع أخواتها إلى عائلة العروس فتستقبلها الأخرى ولاتعلم لماذا الزيادة ، بل كأنها زيادة عادية كما كل مرة، فتبدأ الأم بالكلام وأحيانا بنت من بناتها وهى البكرى عادة، وأحيانا أخت الأم، خالة المعرس أو عمته، على حسب الآراء، فتقول : «نبدأ بالتحية والسلام المعروفة عند النساء، نسأل عن الإبن الصغير أو الإبنه، حتى الكبير، وأحيانا نسأل عن الغداء والعشاء على حسب الوقت»، فنقول : «هل استوى غداء كم،

عشاءكم، وأحيانا إذا كانوا يملكون بستانا: هل نفعتوا؟ أى رويتوا الزراعة والغنم والدجاج، وإذا كانت العائلة صائدى سمك «بحارين» فتقول : وش أخبار صيدكم اليوم، وبالتدريج إلى أن تصل الأم إلى الفتاة فى السؤال فتقول: «بصوت تسمعه الأم الأخرى (أم البيت) بتش كبرت وصارت حليوه ونمباها إلى ولدنا فلان. «أى أن بنتك كبرت وصارت فى سنة الزواج واصبحت جميعه ونربدها لأن تكفى زوجة لإبننا فلان» فتسمع الأم ذلك وترد وتقول: «ولايهمش يا أم فلان، خلى أبوها يجى ونقول له، وبعدها أخذيها بشيلتها بمعنى لا يهمك يا أم فلان – حينما يأتى والدها نخبره بذلك، وبعد موافقته يمكنك أن تأخذ بها بما على رأسها من غضاء، كناية عن الموافقة والبساطة». فإذا كانت الفتاة هناك فتكون قد سمعت، وإلا أخبرتها الأم.

أما إذا لم تكن الأم موجودة (أم البنت عايشه) فتنوب عنها أحد القريبات، أما طريقة خطبة الأب عندما يتقدم فتختلف قليلا، أى يدخل على طول فى طلب الفتاة بعد مقدمات قليلة: «جيناك يا أبو فلان نريد القربة وجمع الشمل والعائلة، جيناك نطلب فلانه لولدنا فلان»، فتكون الإجابة مباشرة بالإيجاب إذا رأى والد الفتاة مصلحة إبنته مع هذا المتقدم، أما إذا أراد الرفض فيعمد الرجل إلى التريث يومين أو أسبوع – على حسب الآراء – فيقوم والد البنت بإرسال رجل أو امرأة يخبر العائلة الثانية (أهل الولد) بالرفض.

وأحيانا يخطب للشاب فتاة وهو لايعلم، ذلك لأنه فى عمله، إذا كان العمل يحتاج إلى أشهر وأقلها شهرين، وأكثرها سنة على حسب العمل. وحينما يأتى من عمله ويقال له : لقد خطبنا لك فلانة بنت فلان ..... بذلك القول السابق فى القيام بالذهاب لأهل البنت وطلبها من ولدها لأن تكفى زوجة له.

وينتشر خبر الخطبة والزواج، عندما «يقص» المهر يتفق عليه فى الليل وتكتب كافة الشروط ويتم العقد ينتشر خبر الخطبة عن طريق الأهل والمقربين ثم إلى الجيران وإلى القرية. أما بالنسبة لفترة الخطوبة فقد كانت مابين الشهر والأربعين يوما.

خامساً: تحديد المهر وتجهيز العروسين

يشكل تحديد المهر وتجهيز العروسين المرحلة التنفيذية للإجراءات والخطوات التى أتفق عليها أثناء مرحلة الخطبة، وتحتوى هذه المرحلة فى دورة الحياة بدورها، على مجموعة من الخطوات الرئيسية التى نعرض لها فيما يلى:

١ - المهر:

كانت المهور متواضعة جداً ولاتحتاج إلى تعب وجمع وهلاك، لقد كانت على حسب العرف المعروف عندنا (فى جزيرة تاروت) أربعمائة ريال أكثر شئ وهذا عند العائلة الميسورة التى هى بنفسها تدفع هذا المهر بدون أن يطلبه والد العروس، وأقلها تسعون ريال، وكانت بعض العوائل سابقا لاتطلب إلا القليل من المهر حتى بعض العوائل زوجت بناتها بالقرآن الكريم، على الرغم من أنها كانت غنية وميسورة.

٢ - جهاز العروس وضيفتها

تقول إحداهن : «الغالية الغالية يسلم لها أربعمائة ريال وتعطى منه ثمانون ريالا لتحضير حوائجها، وبعضهن خمسون ريالاً، وكانت هذه الخمسين فى ذلك الزمن تكفى لثوبين وسروالين ومشمرين أى «رداء ملون يستر البدن بأكلمه». وطراحتين أى قماش خاص جميل الألوان ومشجر ومطرز يوضع على السرير أو القفص الذى ينام عليه العريسان، ولحاف يتغطى به العريسان،

ودوشق أى مفرش، ومخدتين ومسندين للجلوس»، ومدتين التى تصنع من الأسل وخيوط الليف، وكانت هذه صناعة محاية فى قرية تسمى «الخارجية». وتكون واحدة عريضة تفرش على طول وعرض العشة أى الدار المبنية من الخوص والسعف وجذوع النخل والأشجار، والمدة الأخرى تكون للصلاة وتسمى «الدوس».

يتكون جهاز العروس من قفص ذو طبقتين يؤتى به من القطيف، وهو يشبه السرير حاليا ولكنه مصنوع من جريد النخل وهو قوى ويتحمل الثقل والمقصود به سريرين متجاورين صغيرين يلصقان فى بعضهما ويخاطا بالحبل ويوجد إلى جانبهما حاجز مرتفع يمسك الفرش حتى لايقع ، ويوضع هذا القفص على الحجرة «ضروف التمر» وهو وعاء من خوص النخيل يخاط، ويوضع به التمر، ثم يوضع «الشكات أو المنز» وهو حصير خاص واسع يوضع فوق السرير «القفص » ويسمى أيضاً «المدة» ومن جهازها كذلك الزبيل وهو وعاء خاص من الخوض أو الأسل يصنع لوضع الثياب والمرأة والمكحلة المشط الخشبى والدهون. إضافة إلى أدوات الطبخ وهى القدر والصحون المعدنية، وتتكون الثياب من سراويل اثنين مشجرة، وكذلك الأردية وأدوات الكحل والتزين، والمهر كان مايعادل ثلاثمائة ريال.

وتشترى ضيفة للعروس تحتوى على «نصف من عيش» أى ثمانية كيلو رز، وقليل من القهوة «ربع كيلو قهوة»، «وكم من ورقة تتن» أى التبغ، ونصف كيلو سكر للحليب والشاى وحليب بقر حيث يكثر منه للعروس لتشربه خلال الأسبوع الأول من العرس كل يوم بعد صلاة الفجر، وذلك لاعتقادهم أن الحليب الطازج يخفف من الآم «الجماع ونغزات الإيلاج» وقد اتفق الكل على هذا الرأى.

٣ - تجميز العروس

تحمم العروس ثلاثة أيام متتالية وبالتحديد العصر الساعة الرابعة أو الخامسة – على حسب التوقيت – حيث يسبق هذا الوقت جلستها التى تحنى فيها حيث تكون طاهرة ونظيفة لما سوف يقال لها من أذكار وتلاوات وأناشيد وأشعار. يغسل كل جسمها وتطيب وتدهن بطيب إسمه «الرازقى» . ويكلل شعرها بثلاثة ألوان من الورد، فالأحمر يكون جنب الفروة، والأصفر يكون فى الوسط، والأبيض فى جديلة الشعر، حيث يمتلى الرأس والشعر كله وورود ملونة وعطر غالى الثمن. وعلى هذا ثلاثة أيام، وبعد أن تأتى من الغسالة تجلس على فرش من طبقات المديد «الزل» عليه وسادة من الريش الناعم وتكون كبيرة، خاصة الجلوس. وتقوم الخضابة وهى المتخصصة بالنقش على اليدين والرجلين، تقوم بتحريك يداً بعد يد ورجلاً بعد رجل دون أن تقوم العروس بأى حركة، إلى درجة أنها لاتتكلم لأن هناك اعتقاد أنها إذا تحركت سوف يغلى سعر التمر والسكر والدهن والخبز على عائلتها. فتلتزم الصمت والثبات، وتشبهها إحداهن بقولها: كأنها «الصمبور» أى جذع النخلة المقطوع، فلا يرى منها شئ بتاتا إلا القدمين فى حدود الخضاب فقط والكفين كذلك. فترسم الخضابة أنواع النقوش مثل الورود والأغصان والأوراق وبعض الأشكال الهندسية البسيطة، التى اكتسبتها عن طريق الممارسة والخبرة فهى عند بعض الأسر وراثية وبعضها تكتسب. وهناك عادة قديمة وهى أن يضعوا فى حجر العروس «رأس قند» أى السكر الحجرى وهو قالب مخروطى الشكل، يوضع فى حجر العروس «على فخذيها» وعندما تتم الخضابة عملها فى آخر ليلة، وهى ليلة الدخلة يؤخذ هذا القالب من حجر العروس بعد أن يكون قد أنهك ركبتيها وساقيها.

٤ - الخضابة وإجراءات الخضيب

عندما تأخذ الخضابة قدم العروس قليلاً قليلاً يرتفع صوت الحاضرات «بالتجبيب» وهو صوت يخرج ناعماً من حركات اللسان السريعة حيث يكون له نغمة جميلة يختلف من صوت إلى صوت، وعلى حسب الكثرة الموجودة، ويرتفع التصفيق والأناشيد فتخرج القدم اليمنى فيقول الحضور : «عصيم الله حنينا عند العروس حكينا». وعندما تخرج الرجل اليسرى للعروس، وأحيانا لاتقوم الخضابة بإخراجها بل تقوم الحاضرات من صديقات العروس لمساعدتها ويقول الحضور: «عصيو الله قرينا عند المعرس حكينا». فتختلف كلمات اليمنى عن اليسرى، فعصيم يقصد بها الرجل اليمن، وعصيو يقصد بها الرجل اليسرى، أما الحكى فيقصد به النشيد، كذلك يحدث عند تخضيب اليدين أن الخضابة تأخذ الأموال وتكسر «القند» فى «الرومال» أى منديل خاص تكسرها فيه وتربطها ثم تتعشى وتصلى وتذهب إلى بيتها.

تأتى الخضابة فى اليوم الآخير وتنقش على وجه العروس، وفى ذقنها تنقش شجرة، وفى آخر الحاجب «إضماخها » ترسم مايسمى غزال وهو الحشرة كانت تسمى عندنا غزال لها ذيل طويل وجناحان طويلان وأرجل أربع. ثم ترسم بين الحاجبين «دقات». أما بالنسبة إلى «الديرمه» أى الروج فتقوم العروس نفسها بعمل دقيق وهو أن تأخذ غصن خاص مثل غصن الرمان ويكون يابساً «ينقع» أو يشرب بالماء ثلاثة أيام ثم تأخذه العروس تلوكه بأسنانها وتخرجه وتسمح به الشفتين بيدها، أو بآخر جديلة شعرها وتفركه بهدوء حتى يصبغ لونه على الشفتين فيكون على حسب فترة النقع أو على حسب لون الرمان، إما أسودا أو أحمرا. فإذا كانت العروس بيضاء يظهر سواد هذا الروج.

توجد فى الجزيرة عينين إرتوازيتين، المعرس يذهب عادة إلى البعيدة وإن كانت الأخرى قريبة له. والعين القريبة تغسل فيها العروس، فكانت تزف بالدفيف والطبول إلى أن تصل إلى العين وهى ماشيه على أقدامها، كذلك الرجل، وذكر أحد المسنين أن أحد الطبالة توفى من التعب وذلك لبعد المسافة. ولكن معرفة العروس والمعرس بأنها الليلة الوحيدة لهما (ليلة العمر) فإنهما يصبران على كل شئ من تعب وبعد للمسافة وكما فعلت الناس من قبل لابد أن تفعله. وأحياناً يغسل الرجل على الخيل، إذا كان غنى ويملك المال، وإلا فإن العادة وحلاوتها أن يكون مشياً على الأقدام، وذلك لأن الكبير والصغير يريد أن يسلم عليه، ويقبله.

٥ - اجراءات عقد القران والعرس

الذى يتكفل بكتابة العقود «عقود الزواج»، شيخ معترف به عند الناس، والشيخ هو رجل فقيه متعلم مجتهد قائم على أحد المساجد، بالإضافة إلى كونه معلم، يقوم بعقد قران الزواج على وثائق من الورق القديم ولكنه من النوعية الخشنة ويكتب بالحبر السائل مع كتابة اليوم والتاريخ وأسماء الزوجين وأربعة شهود بالغين، والتصديق على العقد.

إعتاد الأقدمون على قراءة دعاء الزواج وهو دعاء مروى عن رسول الله (ص) ومازالت هذه العادة موجودة إلى يومنا هذا. فعندما ينادى الأب «دستور يا أهل البيت» يبتعد النساء كلهن عن العروسين فيدخل والد الزوجه ومن خلفه الشيخ «المطوع» ويجلس بجانب المعرس أو خلفه على حسب إتجاه لايرى فيه العروس تماما. حيث تكون هى أيضاً لايرى منها شيئاً بتاتاً. ثم يأمر الشيخ «المطوع» المعرس أن يضع يده على ناصية العروس أى الجبين، ويقرأ الشيخ الدعاء ويردده خلفه المعرس. ثم يخرج المطوع، ويعود النساءإلى أماكنهن

لغسل الرجلين فتأتى إحداهن بوعاء واسع «الطشت» تضع فيه رجل المعرس اليمنى ورجل العروس اليمنى، وتأتى بالإبريق وبه ماء. وتأتى قريبة المعرس، خالته أو عمته أو أخته، وتلصق الرجلين مع بعضهما وتساوى ارتفاع الأصابع وتقوم بالتدقيق على مساواة الأصبع. وذلك لإعتقادهم أنه إذا ارتفع أصبع الزوج فسوف تكن الزوجة مريضة ومهانة، وكذلك إذا ارتفع أصبح الزوجه. ثم تأتى الأخرى بالماء وتسكبه على الرجلين، والثالثة ترمى الروبيات على الرجلين.

أما بالنسبة إلى أماكن الضيفة وحفلات الزواج، فلاتوجد أماكن خاصة لإقامتهما، لأن حالة الناس كانت سابقاً بسيطة جداً ولم يكن هناك بيت من البيوت مبنى من الطين، مخصوص لذلك بل كان الكل يعيش فى «العشش» أى البيوت الشعبية، وكانت تقام الأعراس فيها وفى المساحات المجاورة لبيوتنا. النساء كانوا فى جانب يبتعد عن الرجال بكثير، إلا إذا كان الزوجين أقرباء وفى نفس البيت، فهذا يختلف حيث يقوم بعض الأصدقاء بفتح بيته لإقامة زفاف المعرس فيه بعيداً عن النساء وحجابهن.

٦ - *الزفة وإجراءاتها:*

تزف العروس إلى زوجها فى حدود الساعة الحادية عشر إلى الثانية عشر ليلاً ولا تبقى واحدة فى القرية إلا وتخرج معها . وكانت النساء تزف بالطبول أيضاً، والمزامير، والشمع والولوال «الزغاريد» وقد اختلفت النساء فى التوقيت وكذلك الرجال. حيث أنه «أى الزفاف» يكون على حسب إكمال مستلزمات العروس أى إذا تم الأهل العروس والمعرس إكمال كافة الواجبات ولم يبق إلا الزفة، يعمدون إلى زفاف العروسين سواء فى الساعة العاشرة أو الثانية عشرة ليلا. وأكثر مايكون الشمع عند النساء أثناء الزفة حيث تصبح زفة العروس وسط أنوار هادئة جدا وكأنها الياقوته البيضاء أو الصفراء.

وأثناء الزفة تقال نفس الأناشيد التى مازالت تقال إلى الوقت الحاضر، مثلاً «يامعيريس أمرك أمر. برب النبى باقى العمر» و «يامعيريس عين الله تراك القمر والنجوم تمشى وراك» القمر هى زوجته، والنجوم فهم كافة الناس من خلفه وخلفها، وأيضاً» يامعيريس وجهك قمر ... ماميش حلاوه إعطينا تمر».

أما مايقال خلف العروس، مثلاً : «أخ ياميمونه أخ ياميمونه .. العشا خلص وبكره غدونا» و «زهرة الصبح إصبحى وأمسى معطوره. اصعدى عش البدر وكلى فطوره».

ويخرج النساء والرجال بأكملهم ومعهم العذرة والشمع والبردى. والعذرة هى الرز الذى يضاف إليه السكر بدلاً من الملح، حيث يقوم أحد أقرباء المعرس متأخراً خلف الزفة فيضع هذا الرز بين النخيل وأسوار البيوت بكميات قليلة، وذلك لطرد الشياطين والأباليس عن العروسين وأهلهما وعن أبنائهم ولكى لاتقع الفرقة بينهم فى المستقبل. والبردى قطع الثلج التى تنزل مع الأمطار حيث يخرج النساء والرجال والأطفال فيجمعون البردى المتساقط أيام الشتاء. ويخلط مع «الطفو» وهو رماد الخشب، فلا يذوب البردى ويبقى فى الطفو لاتنقص منه قطره، إلى أن يأتى الصيف فيجمع أهل العروس والمعرس هذا البردى من الأهالى إذا لم يكفى ما جمعوه لهم، ثم يوزع على الحضور وبعضه يرمى خلف الزفة وأمامها لكى يطئه المعرس والعروس. ويرجع السبب فى ذلك إلى معرفتهم أن كل شئ حى مخلوق من الماء فيطء المعرس والعروس مع الناس جميعاً على ذلك البردى حتى لايتكبروا على الأصل. وهناك من يقول «لكى يبرد حرارة الأرض ولترطيب الجو.

وتغسل رجلى المعرس مع العروس بالماء فى إناء واحد أيضاً داخل بيت العروس وترمى الروبيات (حيث كانت هى العملة الموجودة قديما) حوالى خمسة

عشر أو عشرون روبية على رجلى العروسين . وذلك عندما يدخل العريس إلى عشة زوجته فى بيت والدها تقوم أم المعرس بأخذه إلى جانب عروسه ثم تتجمع النساء حولهما وعندهن «المشامر» أى الرداء الشعبى الذى يستر المرأة وهو مطرز وجميل فتأخذ أربع منهن أطراف المشامر وينشدون بعض الأناشيد القديمة مثل «واتريمبوه» وهى قصيدة جمعت من الكتب القديمة.

عندما تزف العروس إلى بيت زوجها بعد ذلك الأسبوع، يقوم الرجال وبالذات العائلة الأخوة والأقرباء بنقل الجهاز بدون وسيلة نقل بل سيراً على الأقدام ومن خلفهم الطبول والدفوف إلى أن يصلوا إلى بيت المعرس ومن ثم ينصب الجهاز.

٧ - الداية

«الداية» هى التى تقوم بخياطة ملابس العروس. ومن وظائف الداية أن تغسل رجلا العروس عند دخولها العشة. وتعطى روبيتين (وهى عملة هندية كانت تستخدم فى جميع بلدان الخليج العربى وتعادل ريالين أو أقل) ثمنا أو أجرة لكافة أعمالها، فتقوم بجلب «المناظر» أو المرايا الكثيرة التى توضع فى عشة العروس مع الزينة، حيث تقوم بوضع المناظر كلها على أربعة الجوانب داخل العشة من الأعلى إلى الأسفل فتملاها بأكملها مرايات، فهى التى تبحث عن هذه المرايا من بيت إلى بيت وتبدأ عملها من الصباح، حيث تقول : «صبحكم الله بالخير وش حالكم، أعطونا مناظركم» فتجمعها من بيوت القرية حتى تغطى كافة أرجاء العشة، فهى تعتبر مهندسة ديكور وخياطة. هذه هى مهنتها تعلمتها من أمهاتها وجداتها وكانت بالتوارث. وتقوم الداية بمرافقة العروس وتكون فى خدمتها وتحاول أن تزيل عنها غربة ومصائب اللقاء الأول بجميع أشكاله، لأنها امراة كبيرة فى السن وذات خبرة أيضاً تقوم بتعليم الفتاة «الزوجة» جميع أمور

الزواج، أى العملية الجنسية، حيث تجلس معها تهدئها وتطمئنها وتقوم بحراستها أسبوع كامل لاتفارقها إلا عند الحاجة أى الحمام، أو إذا كانت مرضع لتقوم بإرضاع طفلها بعيداً عن مرأى العروسين. حيث لاتفارقها أبداً فى الأيام الأولى وتقوم بغسل الملابس والطهى والتزيين أو إعانة العروس فى أسبوعها الأول بالتزيين سواءاً التمشيط أو التكحيل. والوقت الذى يعتبر لابد منه لخروجها هو وقت المبيت خلال الأسبوع. ومن وظائفها السرية التى تعتبر أمينة عليها، أن تكتشف هل الزوجة بكرا كانت أم ثيبا؟ حيث تكتشف ذلك إذا رأت خلال هذا الأسبوع أثر الدم على اللباس أو على المفروش الخاص والذى يجب أن يكون أبيض عند بعض الأسر، وبعضهم أصفر والقليل من يقبله نو ألوان متعدده، على حسب الآراء.

عندما ينتهى أسبوع كامل من الزفاف تذهب إلى (الجهاز) وهو المكان الذى كان فيه اللقاء الأول، وتقوم بإنزال المرايات وتعطى هذه الداية خبزاً أو مالاً على حسب اليسر والمنزلة الاقتصادية للأسرة. فتأخذ الخبز وتقسمه على كل بيت فى القرية شارك فى إعطائها المناظر، وعلى حسب العدد إذا كان أحد البيوت أعطاها عشر مرايا تقوم الداية بإعطائهم خمسة أقراص، وعلى حسب الخبز المتوفر تقوم بتوزيعه بالتساوى وإن أعطاها بعض البيوت خمس مرايا تعطيهم قرصان... وذلك لكى لا تحرج الدايه ويكون ثمن المشاركة. وتقوم بعض العوائل الغنية بعمل الخبز «المتين » وهو قرص رفيع ومذاقه حلو وأسمر وكبير، وتقوم الداية بتوزيعه.

٨ - الدخله ومابعدها

تدخل العروس أسبوع كامل فى بيت والدها مع عريسها، حيث يزف المعرس إلى بيت والد زوجته ماشياً حتى ولو بعدت المسافة. ولاتشترط عائلة

العروس على الزوج «المعرس» أن يستقل مع زوجته بعد تمام هذا الأسبوع، ولكن بإمكان الزوج أن يستقل ويبنى له «عشه» لوحده مع زوجته، ويستطيع أن يدبرها بدون الاعتماد على والده، ويكون ذلك أفضل له. ولكن إذا سكن مع أسرته وحدث لزوجته «ضيم» أى مكروه أو سوء تفاهم مع أسرته فإن الزوج يخرج ويحاول أن يستقل لوحدة مع زوجته. وإذا كثر عدد أفراد الأسرة فى البيت الواحد «أسرة ممتده» فإن الإبن يستقل ليخفف الضغط على البيت. ولكى لاتكثر الخلافات مع الزوجات والأبناء والأحفاد وذلك بعد موافقة الأب أو الجد باستقلاله.

سادساً: الطلاق وثقافته

برغم أن الطلاق له شرعياته الدينية ولزوميات الاجتماعية. فى بعض الأحيان نجد أنه مايزال واقعة إستثنائية فى دورة الحياة والأسرة، وهى وإن كانت واقعة ليست شامله، لكنها - برغم ذلك إستثنائية - وعملية اجتماعية، لها مكوناتها وطقوسياتها كذلك، وهو ماسوف نعرض له فى الصفحات التالية:

١ - نظرة المجتمع للطلاق:

كان الطلاق فى القديم محزنة عظيمة، يهتز لها القلب، ويتعب الضمير من أسبابه ونتائجه. حيث كان لايفرق بين إثنين إلا بعد أن يدقق فى أسباب الإقدام عليه إلى درجة الملل، وأحيانا بسبب هذا الإهتمام والتمحيص الإعراض عن الطلاق. من هنا كانت المعلومات عن هذا الحدث قليلة جداً ذلك لأن الطلاق قليل الحدوث. إذا لم يكن معدوم فى القرى والأرياف، وسبب هذه القلة فى اتخاذ القرار بالطلاق هو الاقتناع بالعيش، فسكان الجزيرة، بشر يحبون العمل الذى يبعد عنهم التفكير فى الهم والغم والنكد، أو الإحتقار والحسد والكراهية. فهم طيبون إلى درجة السذاجة فلا ينظر الصديق إلى

ماعند صديقه ولايستغبيه فى نفسه ولا أهله. وقد أجمع الرجال والنساء على أن الاقتناع بالحياة البسيطة هو سر نجاح الابتعاد عن الطلاق. وقد اتفق على أن الطلاق شر يجب قتله فى قلوبهم، ثم إخراجه من هذه الأفئدة، ونسيانه. لأنه بكاء وحزن وقطيعة ومرض وخسارة.

وتذكر أحد المبحوثات قصتها مع الزواج، ثم الطلاق. فقد تزوجت وعمرها أربعة عشر عاماً وقضت مع زوجها خمسة عشر سنة، ولم تنجب . وكان المجتمع يتهم «العاقر» التى لاتنجب بأنها كالشجرة الفاسد طعمها. فلأننى لم أنجب شيئا فى خلال الفترة السابقة طلقت، وهو سبب نعتبره اليوم بسيط ولكننا نكره أن نذكره أو نتذكره لعظيم مايحدثه بالزوجة. وقد ذكر أن أحد الناس قديما كان يجمع بين الأثنتين والثلاث، وهذا شرع الله، ولكنه رفض إلا أن تكون معه زوجة واحدة فقط فقد كان فقيرا جدا لايقوى على الإعاله، فأصر على الطلاق، فقلت كيف تم الطلاق؟ تقول : المطلقة تصبر فى بيت والدها إلى أن تنقضى العدة أو إذا كانت حامل. ويحاول الأقرباء أن يصلحوا الأمور، إلى درجة المساعدة بالمال. ولكن الأولاد زينة ورحمة ونعمة لانستطيع العيش بدونهم. إن الطلاق فى القديم يختلف إختلافاً كبيراً من حيث تردد وقوعه فى هذه الأيام، حيث ان المقدم عليه لايختلق الأسباب رغبة فى تحقيقه، فهو يتزوج وتمر عليه ظروف الزواج الشديدة من حيث التعب والجهد والمال من جهة، ومن جهة أخرى لأن المتزوج أكثر ما يختار من أهله. فكان من الصعب عليه إذا نشب الخلاف أن يسرع إلى الطلاق،. لأنه يعتبر زوجته التى من أهله ومن أقاربه – عظم فى صدرة – لايستطيع التنازل عنها مهما كبرت أسباب الطلاق، فكان إذا حدث الخلاف بينهما، يذهب الأقرباء وبالذات، الأعمام أو الأخوال إلى الزوج ويتحدثون معه ويحاولون فك عقد الإشكال، إلى أن يقتنع الزوج ويسترجع زوجته ويتصالح معها اما إذا كانت الزوجة ليست من أقرباء الزوج فيكون

إحتمال الطلاق أعلى نسبة من عدمه. وخاصة إذا كان هذا الزوج من النوعية التى لاتقبل المناقشة ولاتتنازل هو الشيخ أو المطوع فى الدرجة الأولي، ثم الأصدقاء المقربين له. فإن كان السبب الذى هو أساس الخلاف قد أخذ مجراه فى نفسه وكان قد اقتنع بقوة هذا السبب أصر الزوج على الطلاق. ومع هذا الأسلوب من النصيحة التى تتكرر دائماً إلى أن يمل هؤلاء الأصدقاء من كثرة التردد عليه، ثم لايكون إلا الطلاق.

٢ - *خروج المطلقة من بيت زوجها.*

يكون خروجها كالعلقم فى حلقها، أما إذا كانت هى الراغبة فى ذلك، فهو سعادة لها، فيأتى أهل الزوجة إلى بيت الزوج المطلق فيأخذون متاعها بأكمله، هذا إذا كان الطلاق من جانب الزوج، أما إذا كان من الزوجة فترد حقوق الزوج إليه وهناك الشيخ العالم الذى يعطى ويقوم بتوزيع الحقوق، فيأخذ كل ذى حق حقه ولا يظلم أحد. فالزوجة تخرج فى موكب مع أهلها ويكثر هذا قديما فى الليل، والقليل من تخرج أثناء النهار. وتخرج المطلقة تبكى حزينه وكئيبة، وبعضهن يمرضن، وبعض المطلقين يبقى سنوات عدة ثم يرجع إلى زوجته نفسها إذا لم تتزوج. وبعضهم يتزوج من أخرى وهم الأكثرية. وكذلك الزوجة إذا كانت تحب الزوج المطلق لاتتزوج أملا أن يرجع إليها، وهذا التصرف يجعل الزوج يرجع إلى زوجته. وأكثر النساء المطلقات قديما يتزوجن بسرعة وأكثرهن يتزوجن على أخريات، والقليل منهن من تحصل على زوج لم يسبق له الزواج.

٣ - *أسباب الطلاق:*

هناك عدة أسباب تعتبر أساس الإنفصال بين الزوجين وهى مقارنة بهذا العصر تكاد تكون حقيقية. بالرغم من بساطة التفكير، وقوة التماسك وظهور صفة التعاون الشديدة وحقيقة الفقر وصفة القناعة، وحب العمل واحترام

الظروف. بالرغم من قوة الإرتباط بالأرض والجهاد طلبا للرزق، إلا أن هذه المميزات لاتعتبر مانعة لما يحصل من حالات طلاق تؤثر فى العقلية القديمة بشئ من المرونة والتنازل.

وهناك أسباب تراها الزوجات موجبة للطلاق منها:

أ - عدم مقدرة الزوج على الإنجاب، مما يجعله يتزوج من أخرى، فتكون الأولى قد تحققت من سلامتها فتطلب الطلاق منها:

ب - عدم اكتشاف العيب الخلقى فى الزوج إلا بعد الزواج، فتصر الزوجة على الطلاق إلى درجة أن تشرف على الموت، وبالذات هذه الحالة تكون عند العوائل الفنية.

جـ - اكتشاف العيوب الخلقية بعد الزواج كالفساد أو غيره كالسرقة، ومنها أيضاً ضرب الزوج زوجته، حتى أن يفقد صبرها فتخبر أهلها بذلك.

د - عدم مقدرة الزوج إعطاء الزوجة كافة الحقوق الواجبة عليه. وقالوا ليس من السهل أن تصدق الفتاة بما تقوله فى أول الأمر . ولكن بعد فترة من الزمن تتراوح بين ستة أشهر وسنة كاملة أحياناً، يتم التأكد من قبل الزوجة وأهلها وذلك بعلامات مميزة يراها أهل الفتاة كالضرب، أو إثبات السرقة المتكررة، وبعضهم يقول : «إننا نرى المرض قد فتك بجسد الفتاة بسبب الهم والغم». وهنا تكون الزوجة سعيدة بطلاقها وقابلة بالزواج من آخر بنسبة عالية، وليس من المؤكد أن ترجع إلى طليقها بعد فكاكها.

أما عن أسباب الطلاق كما يراها الزوج فهى عديدة أيضاً، منها:

أ - أن تكون عاقراً، فإذا كان الزوج قريبها لايطلقها لقربها منه ولحبه لأبيها، ولكن يتزوج عليها. وأحياناً هى التى تقوم بتزويجه من واحدة أخرى. وهذه الأسرة لاتنشب بينها العداوات، ولاتدخلها الكراهية، لدرجة أن الزوجة الأولى تقوم بتربية أبناء زوجها من الثانية وكأنهم أبناءها.

ب - اكتشاف زوجها بأنها ليست بكراً، فإن كانت قريبته قل أن يطلقها، ولكن أن يعرف كل شئ وماهو سبب إفتضاضها، وإن كانت غريبة سرعان مايقوم بالطلاق، ولكن يعمد إلى عدم ذكر السبب الحقيقى ساتراً عليها، إلى أن يموت دافناً معه سرها.

جـ - هناك ماقد يفسد الفتاة، حيث يعتبر تكبرها على زوجها وسوء معاملتها إياه إلى درجة أن ينفد صبره معها فساداً، ولايرى إلا أن يريح نفسه من هذا التكبر، فيقوم بتطليقها وبالذات إذا أخذ سوء التفاهم يزداد بينهما وبينها وبين والديه.

ويرى المجتمع أن هناك نتائج سلبية وأخرى إيجابية للطلاق، فمن تلك السلبيات، مثلاً عندما تطلق الزوجة رغماً عنها فمنهن من تموت من شدة الحزن والبكاء والحسرة وبالذات التى تحب زوجها ولديها أبناء وبنات. ومنهن من تجن (تفقد عقلها)، وأخريات من تصاب «بالسبب» أى أن يدخلها الجن فى جسدها. وبعض من حضرن طلاقهم يقال أنه، أى الزوج، مات أيضاً لعدم مقدرته أن يتحمل تأنيب الضمير سبب كون زوجته المطلقة قد جنت حبا فيه.

وقد تفسد المطلقة إذا لم يطرق بابها زوج آخر . بمعنى أنها قد تقصى أوامر أهلها ولاتقبل من أهلها منشورة، وهذه ردة الفعل الذى كان سببه زواجها من إنسان مجبرة عليه أو لاتعلم عنه شيئاً.

ومن السلبيات مايصاب به الأولاد من عقد نفسية، وفقد للحنان، لأن الطفل أو الطفلة يلقب «بإبن المطلقة» مما تشتد عليهم الحياة بالسلب لا الإيجاب. بالإضافة إلى كره الأولاد للأب والحقد الذى يضمرونه فى نفوسهم عليه، حتى يكبروا ومايتجم عنه من عصيان منهم له.

أما الإيجابات فهى راحة الزوج أو إذا كان الحل بينهما هو التفريق، تفاديا للوقوع فى الإنجاب من قبل المطلقة، لما يلاقيه الأطفال أو الأسرة من سلبيات، وأن يكون الطلاق بعد الإنجاب مما يسبب التعقيد.

وقد يكون الطلاق أحد الدروس التى تستفيد منها الأسرة فى عدم الوقوع فيه مرة أخرى، وكذلك فالطلاق عبرة للآخرين . وكان أحد النقاط التى ساعدت على معرفة الزوج قبل الزواج كما هو فى العصر الحاضر، فالخوف منه جعل الأسر تتنازل عن الفجائية التى تصاب بها الزوجة.

سابعاً: ثقافة الموت

لم تكن اعداد الموتى بكثرة هذه الأيام ولم تكن توجد هذه الأمراض ولاالمستشفيات، وإنما التداوى بالأعشاب والعسل. فكان المريض إذا أحس بعلته لايظهرها لأهله. إذا كان يعمل ، ويذهب إلى البستان أو البحر ويسافر إلى البحرين والهند ولكنه إذا أحس بخطر المرض إلى درجة أن لايستطيع معها العمل والحركة لزم بيته إلى أن يموت فيه . وأكثر الموتى فى القرية يموتون فى البيوت. والقليل من يموت فى البحر أو العمل، فإذا مات فى البحر ألقوا به فى الماء، فيكون قبره فى بطون الأسماك، وقل مايحصل ذلك. وأما إذا مات وهو قريب إلى البندر والشاطئ فلن يتعفن جسده. أى إذا كانت المسافة طويلة عن اليابسة يلقى به فى البحر، وإذا مات فى «المعامرة» أو المزرعة فيحمل إلى البيت لأن هذه المزرعة معروفة وإسم صاحبها، ومن يعمل بها . وكان

النـاس قليلون ويعرفـون بعضهم البعض، فلايبقى رجل ولا إمـرأة فـى القرية إلا ويخرج مع هذا الميت فى زفة إلى مثواه الأخير. وكان من الواجـب على أهل القريـة أن يحضروا الجنازة بسبب القرابة والتجاور والعمل الإنسانى الجماعى.

وأما المرأة الميتة فلاتخرج روحها إلا بين يدى أهلها فى البيت وأكثر الموت يحصل فى النساء العجائز، اللاتى قد أهلكهن العجز والتعب. إذ كانت أعمارهن تتجاوز المائة فى بعض القرى. وكان سبب تعميرهن إلى هذا السن هو الصلوات الدائمة، والمحافظة، على هذه العلاقة الروحانية مع الله سبحانه وتعالي. وأما موت الفجأة فلم يحدث أن مات أحدهم فى القرية أو القلعة بهذا النوع من الموت إلا فى هذا الزمن. إن الموت لايفرق بين الأعمار ولكن عادة يأخذ العجائز من الرجال و النساء فى ذلك الزمن، أما الآن فلانسمع إلا وقد مات جارنا، ومات الشاب الفلانى، وماتت العروس الفلانية، وماتت العجوز الفلانية.

ا - تغسيل الميت

كان فى جزيرة تاروت عينان كبيرتان وعميقتان جداً، توجد حالياً واحدة ولكن قل ماءها، والأخرى «غار» ماءها أى جف فكانتا هاتين تسقيان الجزيرة بأكملها من دارين والزور إلى سنابس «والدخل المحدود» ، وهى منطقة تسمى بهذا الإسم. فإذا مات الميت كان على المغسل أن يأتى من إحدى هاتين النباعتين ماء للغسل يكفى ثلاث غسلات ويكفى لرش القبر منه أيضاً، فيقوم بتغسيل الميت فى مكان قريب من المقبرة، يطلق عليه «المغسل» وهو حجرة مبنية من الطين والسعف والجنوع، يوجد داخلها مثل المغسل المرتفع يمدد عليه الميت ويغسل ثلاث مرات بالماء القراح ويحنط أيضا بالحنوط وهو

«الكافور». ويوجد مجرى مائى لبقايا الماء النازل من المغسل يخرج إلى المزرعة أو البساتين، ثم يكفن الميت بكفن معتاد يشترى من الهند وهو أبيض اللون يميل إلى «البيج» ، أو «يميل إلى اللون الحليبى». وبعد التكفين يوضع على النعش ويربط ثم يخرج به إلى ساحة المسجد القريب من «المغتسل» ويصلى عليه الشيخ أو أحد المؤمنين. ثم يرفع ويقال فى تشييعه إلى القبر وهو فوق الأكتاف «لا إله إلا الله محمد رسول الله » ويقول رجل آخر أن يكمل الرجل الأول ماسبق «لا إله إلا الله البقاء والدوام لله». وهذا يكون بصوت عالى جداً يسمعه الناس. أما الباقى من الناس فيقولون بصوت هادئ وهم يحملون الميت على الأكتاف «لا إله إلا الله ، سلم الميت إلى عفو الله ورضوانه هذا ماوعد الله به ورسوله». وهذا يقال أيضا من بداية رفع الميت عند بيته إلى المغتسل، ثم إلى القبر. وحين وصول المشيعوين إلى قرب القبر ينزل الميت بنعشه ثلاث مرات الواحدة بعد الأخرى، لأن الميت فى اعتقادهم يسمع ويرى الناس. وحينما يرى القبر يخاف، فيعمل هذا العمل له بإسم الإستحباب فى الشرع، وأيضاً لكى لاينزل الخوف على الميت مرة واحدة.

وكان المغسل يتقاضى أجرا على العمل بمقدار مايعطى من أسرة الميت وكان لا يأخذ إلا القليل من المال. فهو لايشرط، وكذلك الدفان، أما المصلى على الميت لا يأخذ مالا. وكذلك المرأة المتخصصة فى الغسل تكون قد ورثت هذه المهنة من أمها أو عامها إياها والدها. ومنهم أيضاً من اكتسب هذه المهنة بالتعلم وكانوا يتعلمونها فى الكتاب أو ما أطلقوا عليه «المعلم» وهو مكان لتحفيظ القرآن الكريم والدعاء النبوى، وأما طريقة غسل المرأة فهو نفس غسل الرجل ونفس التحنيط والتكفين.

٢ - *النعش القديم*

لقد تعود أهل تاروت أن يحملوا الميت الرجل على صاريتين متساويتين تمسكها بعض الخشبان الداخلية «يشبه السلم الخشبى». ويوجد فى كل صاريه منه حبال طويلة مصنوعة من القطن ان الليف مربوط فى حلقات من الحديد، عددها ستة أو ثمانية. وأما النساء فهو نفس النعش ولكن يوضع عليه قبتان مرتفعتان نعطى جسد الميتة لكى لاتظهر ملامحه. حيث تقوم الأسرة أو واحدة من النساء المسنات من أهل الميتة بوضع أولاً الحصير على النعش ثم توضع الميتة عليه وتغطى به ، أى يلف حولها، ثم تضع القبتين ثم الأردية. وأساس عمل النعش على هذه الشاكله وهو ماروى عن الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه صنعه لفاطمة الزهراء بعد وفاتها . فجاءت العادة من زمن الخلافة. والأردية التى توضع على القبب والمتعارف عليها ، هى الأحمر ثم الأسود وتسمى عند السناء «البرسيم» . أما الرجل فيقتصر لفه أو ستره بالبطانية التى يستخدمها الميت فى حياته إن كانت وفاته فى الشتاء، أو اللحاف «الشرشف»، إن كانت وفاته فى الصيف. وإذا لم يوجد لديه لحاف، استروه بالكفن والحصير، وربط بالحبل لكى لايفلت الحصير. ثم يوضع على النعش. الرأس يكون فى مقدمة النعش ، والرجلين إلى الخلف، واليدين مسبولة إلى الجانبين أو على البطن أو الصدر.

٣ - *القبر وكيفيته*

لقد أجمع كل المبحوثين أن القبر لم يتغير شكله وحفره وتخطيطه القديم. فهو إلى الآن حفرة عميقة تساوى ارتفاع الرجل، أى على أقل (متر ونصف)، أما اللحد فلابد أن يسأل الحفار عن طول الميت وعرضه. وكان يصنع للرجل وللمرأة فى القبر كالمخدة عند الرأس ويسمى «الصندوق» ويوضع معه

«المناويس» أى قطعتين من السعف الرطيب «الخضر». ويدفن الرجل وهو قد وضع على جانبه الأيمن وجهه نحو القبلة ورجليه إلى الجنوب والرأس نحو الشمال. وأثناء الدفن يرمى كل رجل موجود قليق من التراب بيده، ثم يغطى الرجل «بالسجين» أى قطع متساوية من جدوع النخل يغطى عليه بها وهو فى اللحد، ثم يغطى بالحصير الذى يسد جميع منافذ السجين، لكى لاينزل إليه التراب، ثم يدفن الميت إلى الربع من قبره فيوضع معه بمحاذاة الرجلين والرأس «سجين» أيضاً يكون طويلاً يخرج باقيه إلى خارج القبر كى يعرف حدود القبر، ثم يدفن بأكمله ويحدد القبر من أعلاه بشق ويوضع فيه الماء. ثم يقرأ الحاضرون الفاتحة وهم جالسون واضعون أيديهم اليمنى على القبر. ثم يذهبون إلى تحضير التعزية والقراءة. وذكر بعضهم أنه عندما يضع الدفان الحصير على الجنوع المفصلة ينزل رجل، يعرف مايسمى «بالتلقين» فهو حافظ للتلقين والقرآن والدعاء، أما أن يكون شيخ فقيه أو إنسان عادى حافظ للقرآن والدعاء. وهو ينزل هذا الملقن ويرفع السجين الذى يقابل رأس الميت ويلقنه بعض كلمات التلقين. وأن يذكر اسم الميت اسم أبيه ويقول «يافلان ابن فلان (ثلاث مرات). إعلم أن هذه أخر ساعة لك من ساعات الدنيا وأول ساعة من ساعات الآخرة .. وأنه سوف يأتيك الملكان ويسألانك من ربك ومادينك ومن نبيك وما كتابك (مع ملاحظة) أنه إذا ذكر إسم الميت ثلاث مرة من كتفه ثلاثا مع ذكر الإسم ... ويسألونك عن قبلتك، فأجبهم بلسان طلق ولاتخف وقل ربى الله ...، وأخيراً يقول له ... اسمع ثبتك الله، وتلقن يرحمك الله.

(وهذا بعض التلقين وهو طويل)، ثم يغطى القبر ويضع الحصير ويدفن الميت. ونفس هذا العمل والكيفية يعمل للمرأة، ولكن الذى يضعها فى القبر النساء . ثم يبتعدن عن القبر بعد أن يضعن السجين والحصير، ويأتى الرجال لإكمال الدفن . أما الأطفال الرضع فلا يعمل معهم هذا العمل وإنما الغسل

والتكفين والدفن. وبعد الموت يزور أهل الميت قبرهم حيث يضعوا فى كل زيارة لهم الماء على القبر ويقرأون القرآن.

٤ - مكان التعزية وكيفيتها

لم تكن هناك أماكن خاصة للتعزية وإنما كانت البيوت نفسها تعتبر أماكن للتعزية، فكان الرجال يجتمعون فى بيت الميت أو بيت أسرته، ويأتى احد الشيوخ أو «المطوع أو الخطيب» ويقرأ القرآن. ويقوم خطيبا فيهم ويكثر من الإرشادات والتوعية وللتخويف من الموت وكيفيته وآلامه، والبرزخ والجنة والنار.. الخ، ثم يقول بعض أبيات من الشعر التى تنعى الميت وأجداده لأمه والمظلومين. وذلك لكى تبكى الأسرة بكاءاً يكون لهم شفاء يذهب الحزن الشديد الذى يحتبسه الأب أو الإبن أو الأم وباقى الأسرة. وكذلك تكون عملية التعزية عند النساء. فالنساء يجتمعن فى منزل آخر قريب الى بيت الميت من جهة النسب، ويعملن مثل الرجال وبعد الإنتهاء من التعزية والخطابة، توزع أجزاء من القرآن . على الحاضرين الذين يعرفون القراءة ويقرؤن القرآن. ثم يذهب الناس إلى أسرة الفقيد ويسلمون عليهم ويقولون «عظم الله لكم الأجر» فيجيب واحد من الأسرة «طول الله أعماركم» أو «مشكورين السعى» ثم يشرب الحاضرون الماء أو القهـوة و «النارجيل» ويذهبون إلى أعمالهم، وتتكرر التعزية ثلاث أيام متتاليـة إلى أن يخف الحزن من القلوب، وتذهب الوحشة من الصدور.

٥ - الأرملة القديمة

كان المجتمع يتصف بالتكافل الاجتماعى، فكان الآباء يعملون فى البحر فلا يعودون إلا بعد الأشهر الثلاثة والأربعة أو العشرة على حسب نوعية العمل. فكانت الأسرة توزع كفيلها أشد وأحر أنواع التوديع، فكانوا يقفون فيما يسمى

قديماً «البندر» أى مكان السفن أو الميناء، يودعون العمال ولايبتعدون عن مكان التوديع إلا بعد أن تختفى السفن أو «اللنجات» فى الأفق، أو اثناء الليل. فلاأب من المتمل أن يرجع مع الأكل أو البضاعة أو السمك أو اللولؤ، أو لايعود بتاتا «أى غرق فى البحر» - فكما يأخذون منه فمن الممكن أن يأخذ منهم - وأثناء الغياب يتساعد الأهالى بما عندهم وبالذات الأقرباء فى الأكل والشرب والعمل، وكانت المرأة تعمل فى المزرعة مع أبناءها. ولكن إذا وصل المركب ناقصاً من رب الأسرة فتكون الزوجة قد ترملت، فما ذا تعمل؟

سألت امرأة (أرملة) قد ترملت فأخبرت بما حل بها وكان عمرها فى ذلك الوقت التاسعة عشر، وهى لم تتزوج بعد موت زوجها. وكان سبب ذلك أبناءها الثلاثة وبنتها الصغيرة «خديجة» حينها وصفت لى كل شئ وكأنها تمثله وأنا أشاهده.

عندها كانت تنتظر بين جذوع النخيل الواقفة الشامخة القريبة من زبد البحر. وقد أسبلت سعفها الأخضر على جدوعها تظلل جسد الزوجة المنتظرة بحرارة الشوق والعشق . وكأنها - النخلة - لاتعلم بالحزن الدفين الذى ينتظر الفؤاد الضعيف الواقف جانبها وبقربها. وما أن يهب النسيم الذى يطرب القلب الرؤوف بين أوراق الشجر الأخضر يزمر سمفونية «الهولو» أى نشيد البحارة. فإذا بالاقدام تتصلب منتظرة الآباء والإخوة والأبناء. إنه صوت المحمل صوت «النهام» أى مغنى المحمل، تقف المرأة تدغدغ سندان سمعيها بنهيم النورس حاملة فى يديها رطوبة الفراق وخضاب اللقاء. تقترب السفينة، ترتفع الزغاريد، يرتفع ضجيج المحبة بالصلوات والترحيب، فينادى الأطفال: «جاء المحمل ، جاء أبوى» فينزل الأطفال إلى أن يصل الماء إلى مخط الحناء فى السيقان، يرفعون الثياب أن تبتل من ماء البحر وزبده، كل واحد يمسك أخاه أو أخته.

والنساء هناك بين النخيل والأشجار محجبات، كل واحدة تحمل فى يدها خرقة نظيفة وجرة ماء زلال. تفوح من بين جلابيبهن رائحة الرازقى استعداداً ولهفة للقادمين لهن من بعولتهن وأباءهن.

يطابق المحمل حافة البندر، ترمى الحبال والشباك، تقرع معادن القلوب فى عظام القادمين بمطارق من الرحمة والشفقة على الأهل. ينزلون واحداً بعد آخر ... ثم تقف أم حسن تنظر إلى النازلين من «اللنج» تتمعن فيهم جميعاً لعل نظرها العاشق يلتقى بنور بعلها الشاب ذو الخامسة والعشرون سنة. ذلك الزوج الكريم بما رزقه الله من نعيم الصيد والبحر، فلا ترى إلا فلان قد ذهب إلى زوجته يعانقها، والآخر قد مسك بكفى زوجته يقبلهما، وثالث قد أسقطه أبناءه الإثنين والثلاثة يعانقوه وهو فى الماء ، ورابع يركض إلى حبيبته «أمه» وفلان قد أحضر الهدايا إلى أن تختفى أنشودة اللقاء داخل الباب لبها، فتقول:

«أين الزوج ياربى»

فتخرج تسأل كل واحد منهم: «يا أبو أحمد وين رجلى»

« ياأبو على وين وين أبو حسن».

«يافلان يافلتان أين زوجى»

يصمتون، يسكتون، يهدؤن، وقد نكسوا الرقاب والصدور، وكان على وجناتهم قطرات من موالم الجسد الساخنة تدمع، وكأنهم صوائح يتبعها نوائح، فكلهم ينظرون إلى النوخذة.

«أين أنت أيها النوخذة»

« أين ابن عمى»

حينما ينظر إلى البحر وموجه المتلاطم، يشمخ بلجيته المصبغة بقوة من ضعف، وبشدة من رحمة، بخشونة هشة اللفتات، برفع هامته رحمة بها ، وقبل أن يقول ...تعلم الزوجة أن زوجها اختطفه ريب المنون، وقد أكفنته أمواج الماء بسلسبيلها، وأقبرته لحود الصيد في حواصل أسماكها. عندها يهتز طرف النوخذة رافعاً جبينه إلى الغيم يقول بصوت مقفول «رحمة الله عليكم أهل البيت، كتب عليكم الموت بين أطباق المياه، عظم الله أجرك يا أم حسن فقد غرق زوجك ... ثم تقول:

«لم أخمش وجهى ولم أشق جيبى، ولم أدعو بالويل والأنين...» ولكن سكتت وصمت، وذلك حفاظا على روح الستر، وروح الغريق، فذهبت يمسكنها النسوة» نسوة القرية» والقلب يحترق ألماً وشرقاً. ثم ما أن تجلس ويعقد المأتم، تفرغ كل مصابها فى أربعة أيام علنا بين النساء ... ثم تعيش باقى الأيام حزينة، ومنهن من تموت ومنهن الصابرات، وبعضهن يتزوجن بعد فترة، حيث أن أسرع أمرأة تتزوج هى الأرملة كبيرة كانت أو صغيرة قابلة للزواج، فمنهن من تتزوج ويكفلها زوجها الثانى ويكفل أبناءها معها، ومنهن من ترفض الزواج حفاظاً على الأبناء، أو إخلاصاً وحباً وولاءاً للزوج الراحل، فتبقى إلى أن تموت . وأما التى تتزوج فتشرط فى زوجها الثانى أن لايحرمها أبناءها، وأن يعاملهم معاملة حسنة. وكان الترمل على حسب وظيفة الزوج وخطورة هذه الوظيفة، وتكثر هذه الحالة عند العاملين فى البحر.

فإن كان الزوج هو الذى قد فقد الزوجة فيقولون فى ذلك. أنه إذا كان ميسورا تزوج، وإلا ساعده أقرباء وساعده الشيخ الذى ينفق من الحقوق الواجبة شرعا، – هذا إذا أراد الزوج – وبالذات إذا كان لديه أطفال فتكون رغبة الزواج لديه قوية فيتزوج شريطة أن لاتتعرض الزوجة للأبناء بسوء. وقل أن

تتعامل الزوجة الثانية مع الأولاد بسوء أو حقد، وبالذات القريبة منهن، فكان أكثر الناس قديما بعد أن تموت زوجته ولديه أو ليس لديه أبناء، يتزوج من أخت المفقودة أو قريباتها، طمعا فى الهدوء ودفعاً للمشاكل مع الأولاد، وضمان حبهم لها وحبالهم. وكذلك فإن أكثر الأرامل من النساء والرجال يتزوجوا من أقرباءهم لنفس العلة.

وعن حال الأرامل إذا سمعن بوفاة أزواجهن . أن حزن الزوجة أكثر مايكون إذا غاب زوجها عاملاً فى البحر فإن مات فإما المرض الذى تبرأ منه بعد سنوات إذا لم تمت، وإما الجنون الأبدى، أو الخرس أو العمى، وإما الصبر على البلاء مع البكاء الدائم، فكانت تشق ثوبها، وتخمش وجهها، وتلطم رأسها، مع قريباتها، إلى درجة الأغماء ويستمر على هذه الحال فى حدود شهر كامل، فكلما جاءت لها من تعزيها فزعت بالويلات والآهات. أما الرجل فهو رجل يصبر على البلاء ليوفى أجور الصابرين، وأكثر ما يكون حزنه على زوجته الشابة إذا كان يحبها، حيث يكثر الزيارة إلى قبرها، إلى درجة أنه ينام عندها فى النهار - فيقول شاهد عيان منهم - لقد رأيت أحدهم يبكى وهو نائم على القبر. وينادى الزوجة ويقول «لمن هذه الأطفال «أوديها»، ويبقى على ذلك إلى أن يمل البكاء، وينفد الدمع من عينيه، ويذهب على موت زوجته سنوات، ثم يفكر فى زوجة أخرى. فيقال له من قبل الأهل، وبالذات الأم، «إلى متى سوف تعيش أعزبا بدون زوجة»، فيصر عليه الأم والأب، يقال له «أن زوجتك فى اعتقادنا لاتمانع فى زواجك من أخرى حفاظا عليك»، لأن حالة الأرمل وقتها لابد من مشاورته فى الزواج.

ثامنا : طقوس الأعياد

اعتاد الناس فى ذلك الزمن الهادئ أن يفرحوا لقدوم الأعياد، فكان

استعدادهم مبكراً قبل أن يأتى العيد، فبعض العوائل الغنية تشترى الملابس والهدايا من السوق الوحيد الموجود وسط القلعة فى الجزيرة تاروت. وتشترى العائلة الحلاوة والعطور الهندية الخشبية والدهنية. أما العوائل الفقيرة فتقتصر على لباسها العادى، وبعضهم يخزن لباس الأعياد إلى وقت الأعياد فقط، ويلبسونه الأطفال أو الفتيات التى يكون هذا اللباس مناسب لهم وحسب مقاسهم. أما الكبير أو الكبذرة فيشترى لهم الجديد، ويقول البعض : إذا كان بإمكان الرجل أن يشترى له فيشترى، وإذا لم يستطع فلايلبس الجديد. أما بالنسبة إلى الرحلات فلم تكن هذه العادة متواجدة بتاتا فى أيامهم، فهم يقتصرون على الصلاة فى المسجد بعد خروج الشمس، ثم التزاور فيما بينهم، ولم تكن عندهم صفة العطايا وذلك لفقرهم. وكانت عدد الأيام التى يفرحون بها بالعيد ثلاثة أيام متتالية ، يوم العيد واليوم الثانى والثالث. ويقولون فى المعايدة : «عيد عليكم مبارك عساكم من عوادة» و «رد علينا وعليكم بخير وعافية». ولم تكن هناك أماكن خاصة بالمعايدة، وأندية لإقامة الحفلات أو أماكن للرقص والطبل «العرصات». فكانوا أكثر مايذهبون إليه هو زيارات متبادلة مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى الذهاب للمساجد وزيارة القبور، والذهاب للسوق، والقهاوى، والجلوس مع كبار السن فى المجالس الشعبية أو بيوت النواخذ أو «العواد» وهم كبار القرية أو بيت الشيخ الفقيه يشربون القهوة والشاى وعصير الكرف «لحاء الطلع» ويأكلون التمر والزبيب والجدب وكذلك الرطب، والخبز الأسمر أو المسمى «بالمتين» . فكانت العادة عندهم إذا كان عيد الفطر يبدؤا الفطر باللحم والجريش والمموش، ثم الحلوى والسكريات، وكانت المرأة تلبس اللخنق والسروال والدراعة التى يغطى الكف مثل «البزمة» وتلبس الملفع المسمى «قماشه اليوم أو ركنزة» وهو يشبه الشبك المشجر والزخرف، وكان العطر يستخرج من نبات موجود إلى هذا اليوم ويسمى «غسل يد الزهراء»، وأيضاً

عطر الرازقى. والحلوى يطلق عليها «أبو ارميط » المصنوعة فى الخليج. وذكرت أحد المسنات أسماء للبحارة السابقين جدا مثل المعلم والعمانى وسيد شبر والشكر وهولاء كانوا «كبار وشبعانين»، وكذلك الخباز وبضاعتهم تؤتى من البحرين مثل البن والشكر وموالح الطبخ والشاى والقماش والقهوة أدوات الزينة... وغيرها». وذكر أحد المسنين أسماء النواخذية مثل الضامن وحجى عند والمبشر وآل تركى وأكثرهم من السنابس. وهذه العادات نفسها تتكرر فى عيد الأضحى المبارك.

الخاتمة

تحتوى الحياة الإجتماعية فى جزيرة تاروت على الكثير من الجوانب والأبعاد التى تحتاج إلى الكثير من عمل الدراسات الإنثربولوجية والاجتماعية. وقد حاول الباحث تلخيص مجمل مظاهر الحياة الاجتماعية وتأثيرها على الفرد بشكل لايكاد ينفك منها.

فمعظم هذه المظاهر قد تكون فريدة، ولكنها تحمل الصفة الجماعية مثل الختان والزفة والطلاق والموت ومناسبات الأعياد. لذا فإن الفرد لايستطيع أن يمارس هذه المظاهر وحده.

لأن معظم صور الحياة تأخذ الجماعية . فهى تمارس من خلال طقوس وأدبيات تحمل الكثير من المعانى والصور التى قد تكون متجذرة فى المجتمع. منها ما يكون له أصل فى الثقافة التى مصدرها الدين الإسلامى، ومنها ماقد يكون له أصل فى ثقافة الجزيرة قبل الإسلام، حيث أن الثقافات قد تعاقبت عليها. ومنها ماقد يكون له معانى تفسيرية من واقع الحياة، أو من حكايات خرافية أو غيبيات مرتبطة بالثقافة بشكل أو آخر.

ومجمل دورة حياة الإنسان فى الجزيرة تعطى أبعاداً اجتماعية متميزة،

كالتكافل، والتماسك، والتكامل، والتوازن الاجتماعى الذى هو أساس قيام المجتمعات، والتى يبحث عنها معظم الباحثين.

وإذا كانت مظاهر الصراع الاجتماعى تبدو وكأنها ليست موجودة، ولكن لا يعنى ذلك أنها غير موجودة أصلاً، بل تبدو فى صور اجتماعية مختلفة، يحرص المبحوثون على عدم إظهارها.

إن معظم مظاهر الثقافة التى يرى البعض أنها قد اندثرت، تظهر وبشكل مخالف فى الصورة عما كانت عليه فى القديم، فالثقافة إنتاج اجتماعى يراعى مجمل الظروف المحيطة ويظهر من خلالها. لأن أصل الثقافة واحد والاحتياج لها باق ومستمر ولكنها تتكيف مع الظروف والمستجدات فى المجتمع.

بعض الأدوات والأسماء المستخدمة قديماً

اللِيوان: الفاصل بين غرفة النوم والصالة

الدوشن: فتحة دائرية فى الجدار للتهوية

الدوزنة: فتحة فى الجدار تمثل النافذة حديثاً

المربعة: الصالة القديمة بدون باب

المرزام: عبارة عن فتحة صغيرة فى أعلى أسقف البيوت لتصريف المياه من على الغرفة حتى لاتتجمع المياه.

المسبح: حمام صغير فى أحد جوانب غرفة النوم للسباحة.

الخدار: المقصود به الستارة حديثاً وتوضع قديماً على أبواب البيوت بدلاً من النوافذ لتستر حرمة البيت.

الفشل: حطب يستخدم فى بناء أسقف البيوت وصناعة السفن ويسفر من الهند.

العريش: سقف فى أعلى البيت يصنع من سعف النخيل ويوضع تحته اللحم والربيان والخبز المجفف وللجلوس فيه ليلاً فى فناءه.

الخلة: غطاء يوضع على المنز لوقاية الطفل من الحشرات.

السفرة: عبارة عن ألياف من سعف النخيل وخيطه لوضع الطعام عليها.

الدقل: العمود الرئيسى فى السفينة لتثبيت الشرعة.

المنز : سرير الطفل

الضجة– المن: وحدة الكيل والميزان

المنشس: آلة حادة للتقطيع.

المسن: أله لتجديد حد السكاكين

النجيلة: عبارة عن عمود لتثبيت سقف البيت.

النارجيلة/القدوة أداة لشرب الدخان.

المصفطة: عبارة عن مصيدة للأسماك تصنع من سعف النخيل على عدة أشكال عندما يجئ المد تدخل الأسماك بها ولاتستطيع الخروج أثناء الجزر ويأتى البحار فى الصباح ليتفقد الصيد.

القرقورة: عبارة عن مصيدة للأسماك يصنع من أسلاك حديدية شبه دائرية .

الزبيل: وعاء تحمل به الأشياء من مكان إلى آخر.

دحيدع – عبد العين – ام الخضر والليف – أم حمار أسماء وهمية خرافية لتخويف الأطفال حتى لايذهبون إلى الأماكن الخطرة مثل العيون العميقة أو يهيمون فى النخيل فى وقت متأخرة من الليل.

الزنبور: صنـــدوق يعلـــق فى السقـــف لحفظ الأطعمة من الحشرات والحيوانات.

الشيسة: عبارة عن وعاء مصنوع من الألياف أو الأسلاك الحديدية لعرض الأسماك لبيعها.

البارية: وهى عبارة عن مقود السفينة.

البادرة: عبارة عن شئ ثقيل لإيقاف السفينة

لوزاء: قطعة قماش يستخدمها البحار لستر عورته.

الدراعة: قطعة قماش للمرأة

الملفع: قطعة قماش تلبس فوق الدراعة

الجنوم: آله من أدوات البناء لتسوية الجذار

العكفا: أداة تستخدم لتزيين النخلة من الزوائد.

المنجل المحش: أداتين تستخدمان لقطع الحشائش

القفة: أداة مصنوعة من سعف النخيل دائرية الشكل لحفظ الأغراض.

المعلق: وهى أكبر من القفة ولكن بشكل طولى

الكر: أداة تستخدم للصعود على النخيل.

السوة: وهى عبارة عن فتحة فى الجدار تمثل الآن الدولاب.

السحارة: وهى عبارة عن صندوق لحفظ الملابس.

القوس: أداة تستخدم لصيد الطيور وحديثاً تسمى الذبالة.

الحب: آنية توضع فيها المال للشرب.

المراجع

١ - الجاسر، حمد (١٩٧٧) المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية «دار اليمامة للبحث والترجمة - الرياض.

٢ - الدرورة، على إبراهيم (١٩٨٨) شعراء الموال فى جزيرة تاروت «الصناعات المساندة - الجبيل.

٣ - السبيعى، عبد الله ناصر (١٩٨٩) «اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية فى المنطقة الشرقية ١٣٥٢ - ١٣٨٠ هـ - ١٩٣٣ - ١٩٦٠م. دراسة فى التاريخ الاجتماعى . مكتبة الوراق. الرياض.

٤ - (Spradley, James P. (1979) "The Ethnographic Interview" Holt, Rinehart and Winston. New York.

٥ - إسماعيل، زكى محمد (١٩٨٢) «الإنثروبولوجيا والفكر الإسلامى». شركة مكتبات عكاظ - الرياض.

٦ - رياض، محمد (١٩٨٤) «الإنسان : دراسة فى النوع والحضارة» - دار النهضة العربية - بيروت.

٧ - هولتكرانس، أيكه (١٩٧٢) قاموس مصطلحات الإثنولوجيا الفولكلور «ترجمة محمد الجوهرى ورفاقه. دار المعارف بمصر.

٨ - محمد، محمد على وآخرون.

(١٩٨٥) «المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع». مصر : دار المعرفة الجامعية . مصر.

٩ - إبراهيم، فتحية محمد (١٩٨٨) «مدخل إلى مناهج البحث فى علم الإنسان: الإنثروبولوجيا» دار المريخ - الرياض.

١٠ - حنا، نبيل صبحى (١٩٨٤) «الإنثروبولوجيا الاجتماعية: دراسة المجتمعات والجماعات محدودة النطاق «دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية.

١١ - إسماعيل زكى محمد (١٩٨٢) " الانثروبولوجيا والفكر الإسلامى" شركة مكتبات عكاظ - الرياض"

١٢- Altorki, Soraya (1986) "Women in Saudi Arabia: Ideology and Behavior among the Elite "New York: Columbia University Press.

١٣- Nader, Laura (1974) " Up the Anthropologist - Perspectives Gained from Studying up" inD. Hymes, ed. Reinvestigating Anthropology. New York : Random House.

١٤- Nakhleh, Khalil (1979) " On Being a Native Anthropologist" in Gerrit Huizer, and Bruce Mannheim, eds, the Politics of Anthropology form Colonialism and Sexism Toward a Veiw from Below. The Hague Monton.

١٥- Stephenson, John B. (1981) "Ethnographers in their Own Cultures: Two Appalachin Cases" Human Organization. Vol. 40. No. 2. P. 126.

١٦- زيعور، علي (١٩٨٤) «الدراسة النفسية والاجتماعية بالعينة للذات العربية: من مونوغرافيا قرية إلى التنمية الوطنية "» دار الأنداس - بيروت.

١٧- Fernea, Elizabeth W. (1965) " Guest of the Sheik: An Ethnography of an Iraqi Village" Doubleday Anchor Book. New York.